

تفسير ابن كثير

وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ

وقوله : (وأذن في الناس بالحج) أي : ناد في الناس داعيا لهم إلى الحج إلى هذا البيت

الذي أمرناك ببنائه . فذكر أنه قال : يا رب ، وكيف أبلغ الناس وصوتي لا ينفذهم؟ فقيل

: ناد وعلينا البلاغ . فقام على مقامه ، وقيل : على الحجر ، وقيل : على الصفا ، وقيل :

على أبي قبيس ، وقال : يا أيها الناس ، إن ربكم قد اتخذ بيتا فحجوه ، فيقال : إن الجبال

تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض ، وأسمع من في الأرحام والأصلاب ،

وأجابه كل شيء سمعه من حجر ومدر وشجر ، ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة :

" لبيك اللهم لبيك " . هذا مضمون ما روي عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد

بن جبير ، وغير واحد من السلف ، والله أعلم . أوردها ابن جرير ، وابن أبي حاتم مطولة

وقوله : (يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) قد يستدل بهذه الآية

من ذهب من العلماء إلى أن الحج ماشيا ، لمن قدر عليه أفضل من الحج راكبا؛ لأنه

قدمهم في الذكر ، فدل على الاهتمام بهم وقوة همهم وشدة عزمهم ، والذي عليه

الأكثر أن الحج راكبا أفضل؛ اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه حج

راكبا مع كمال قوته ، عليه السلام .وقوله : (يأتين من كل فج) يعني : طريق ، كما قال

: (وجعلنا فيها فجاجا سبلا) [الأنبياء : 31] .وقوله : (عميق) أي : بعيد . قاله مجاهد

، وعطاء ، والسدي ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان ، والثوري ، وغير واحد .وهذه الآية

كقوله تعالى إخبارا عن إبراهيم ، حيث قال في دعائه : (فاجعل أفئدة من الناس تهوي

إليهم) [إبراهيم : 37] فليس أحد من أهل الإسلام إلا وهو يحن إلى رؤية الكعبة

والطواف ، فالناس يقصدونها من سائر الجهات والأقطار .